الفصل الثاني

صور من الفساد والإنحلال قديماً

- طبقات المحظيات .
- عشق اليونانيين لنهود المرأة .
- عشق الجنس المماثل .
- الشذوذ الجنسى فى المجتمعات القديمة .
- حزام العفة .
- البغاء الدينى أو المقدس .
- ..... وصور أخرى .

• طبقات المحظيات[1] :

كانت المحظيات فى أثينا على ثلاث طبقات:

الطبقة العليا: وهن من كان يتردد عليهن كبار الساسة والقواد والفلاسفة والفنانين، فيجدون عندهن متعة العقل والجسد. وهؤلاء يعملن لحسابهن الخاص ولا رقيب عليهن من أحد.

الطبقة الوسطى: وهن من كن يتردد عليهن من ينشدون المتعة الجسدية خارج الحدود الزوجية نظير أجر معلوم.

وكانت هؤلاء المحظيات يعشن فى بيوت معروفة تنتشر فى أماكن عديدة من أثينا، كما كان بعضهن يَعِشْنَ فى منشآت عامة، مثل الفنادق، والمطاعم، أو الملاهى الليلية، وغيرها.

الطبقة الدنيا: وهن المومسات اللاتى يمارسن الدعارة فى مواخير مرخصة محصورة فى أحياء معينة من المدينة تحت إشراف الحكومة ورقابتها. وكان الشخص العادى يجد متعته فى هذه المواخير نظير مبلغ زهيد من المال.

والغريب فى الأمر أن المحظيات اليونانيات قد أسرن الرجال واستحوذْنَ على لبهم بذكائهن ورجاحة عقولهن أكثر من جمالهن وسحرهن، ولا سيما

(١) تطور العلاقات الجنسية: أحمد الشنتناوى (بتصرف).

محظيات الطبقة العليا، وقد جرت العادة بين محظيات تلك الطبقة أن يحضرن دروس الفلسفة على أيدى كبار الفلاسفة. . حتى إن محظية تسمى «ليونسيون» قد ألفت رسالة فلسفية بها من الفطنة ما يفوق مؤلفات أستاذها «أبيقور».

وكان هناك إلى جانب هؤلاء المحظيات مَنْ كُنَّ ينشدن اللذة والمتعة، أو ينشدن الجاه والثراء. . . وقد بلغ بعضهن فى ذلك شأوًا بعيدًا.

* * *

• عشق اليونانيين لنهود المرأة:

كانت هناك فى اليونان ظاهرة غريبة من ظواهر الجنس، هى التعلق الشديد، والإعجاب البالغ بنهود المرأة، ذلك التعلق الذى بلغ حد العبادة... فقد لعب صدر المرأة دورًا كبيرًا ومهما فى الحياة الجنسية عند قدماء اليونانيين[1].

وكان من مظاهر الحب والتعاطف المألوفة أن يُقبل الرجل كتف المرأة، وخاصة صدرها.

وليس هناك أدل من غرام اليونانيين القدماء بصدر المرأة الناهد من قصة «فيرن» Phyrne .... فقد كانت «فيرن» غانية أثينية على حظ كبير من الجمال، وقد وقفت أمام القضاة لمحاكمتها على جريمة اقترفتها.

وقد أخذ «هيبريدس» وهو أحد محبيها ـ وكان خطيباً مفوهاً ـ يدافع عنها بحرارة وحماس، ولكن دفاعه القوى وبلاغته الخطابية ذهبت سُدًى؛ إذ لم يتأثر القضاة ببراعته الخطابية، وأصدروا حكمهم بإعدام هذه الغانية... ولم يكن هناك مجال لنقض هذا الحكم، فما كان من «هيبريدس» إلا أن أسرع

(١) تعرض علينا الآداب اليونانية القديمة نوعاً من عبادة صدر المرأة، إذ يكثر فى الشعر اليونانى القديم ذكر المشاعر التى تتولد فى قلب الرجل عند رؤية نهود المرأة... ومن ذلك ما ذكره «ننوس» وهو شاعر يونانى من شعراء الملاحم عن النهدين بأنهما تفاحتان صغيرتان على صدر المرأة، وغير ذلك من أمثلة عديدة لا يتسع المجال هنا لسردها.

ومزق الثوب الذى ترتديه «فيرن» مما أظهر ثدييها الناهدين، فعندما شاهد القضاة هذا الجمال الباهر الذى تمثل فى ثدييها سُحِرُوا، وعند ذلك تجلى حبهم للجمال، ذلك الحب المتأصل فى نفس كل يونانى، فأحجموا عن إعدام هذه الغانية التى تحمل مثل هذا الصدر الجميل.

وهذا دليل قوى على السحر الذى كان يبعثه منظر الصدور الجميلة فى نفوس الرجال فى ذلك الوقت[1].

والواقع أن الحروب عند اليونانيين القدماء كانت تدور معظمها حول المرأة، فالحروب كانت تشن بسبب الحب أو للثأر من الخيانة الزوجية، فلم تكن هناك قوة أخرى أعظم من قوة الدافع الجنسى!

* * *

(١) لم تكن هذه القصة من أساطير الخيال، بل إن «فيرن» هذه قد عاشت فى الواقع فى اليونان القديمة، وهى ابنة «أبكليس».

• عشق الجنس المماثل:

ليس من شك أن الاتصال الجنسى بالغلمان كان أمرًا شائعاً فى بلاد اليونان فى العصور القديمة، فقد كانوا يعتقدون أن الغرام بالجنس المماثل يؤدى إلى تقوية الذهن والبدن معًا، وكانوا يذكرون أن جيشاً من المحاربين قوامه محاربون يتصفون بهذا النوع من العشق والغرام هو جيش لا يمكن قهره!

كما كان الغرام بالجنس المماثل والغلمان أمرًا شائعاً فى مصر القديمة.. وقد اتخذ الغرام بالجنس المماثل شكلاً قانونيا فيما بعد، إذ نجد أن «صولون» المشرِّع الأثينى المشهور[1] قد ضَمَّنَ تشريعاته الكثير من النصوص الخاصة بهذا الموضوع، منها أنه محرم على العبيد أن تكون لهم علاقات جنسية مع الغلمان الذين ولدوا أحرارًا.

وكان عشق الغلمان موجودًا بين آلهة اليونان، كما كان الحال بين الناس، فنجد مثلا أن «جوبتير» كبير الآلهة يقع فى غرام غلام راع جميل، هو «چانيميد» وقد تعلق به تعلقًا شديدًا، على الرغم من علاقاته الجنسية العديدة مع الكثير من النساء.

---

(١) كان نفسه من المعروفين بغرامهم بالجنس المماثل.

كما كان نيتون إله البحر يعشق غلاماً يدعى «بيلوبس»، وأبولُّو إله الشعر يعشق «هياكنتس» وهكذا.

ويقول البعض ـ ومن بينهم أرسطو ـ إن السبب فى هذه العادة خوف اليونانيين من زيادة عدد السكان، فَلَجَئُوا إلى عشق الجنس المماثل ليتجنبوا إلى حد كبير الزيادة فى عدد المواليد، كما أن الرجال الذين كانوا يعيشون فى المعسكرات، والذين يحاربون جنبًا إلى جنب، لم تكن لديهم الفرصة للتنفيس عن رغباتهم الجنسية إلا مع الرجال(١).

هذا، وكان لسن الغلام شأن كبير فى هذه العلاقات ـ فالصبى فى الثانية عشرة من عمره يكون فى زهرة صباه وتبعث معاشرته البهجة والسرور فى النفس، ولكن أفضل منه الذى فى الثالثة عشرة من عمره... أما الذى بلغ الرابعة عشرة فهو الزهرة الناضرة من زهرات الحب، بل الأكثر فتنة منه هو من بلغ الخامسة عشرة. أما الشاب فى سن السادسة عشرة فهو جدير بالآلهة دون غيرهم، ومن بلغ السابعة عشرة فهو لكبير الآلهة «جوبيتر»!

وكان الإغريق يرون أن العيون هى المنفذ إلى الروح، ففى العيون تكمن أسرار العواطف.. من ذلك ما قاله «ستراتون» أحد العاشقين لغلامه:

«إن عينيك شرارتان مقدستان جميلتان، بل هما أشعة تنفث اللهب، إننى لا أستطيع النظر إليك وجهاً لوجه ولو لبرهة قصيرة لشدة البريق، ولوهج النور الذى ينبعث من عينيك».

وكان شعر الغلام بدوره موضع فتنة ومسرة للمحبين، فقد كان الغلام يرسله طليقًا خلف ظهره. وكان المحب فى «إسبرطة» يطلق عليه اسم «الملهم»

---

(١) تطور العلاقات الجنسية: أحمد الشنتناوى (بتصرف).

ويطلق على المحبوب اسم «المستمع»... وقد نص المشرع «ليكرغ» فى قانونه على أنه من الجنايات الكبرى التى عقوبتها الإعدام أو النفى إذا أقبل المحب على محبوبه لمجرد الشهوة البهيمية... وكان الغلام من ناحيته يأبى أن يبيع نفسه لمن يرغب فيه، فإن ذلك كان يعد سُبَّة فى جبينه، وخزيًا وعارًا له، إنما كان يتقبل الهدايا التى تقدم إليه بروح من الكرم والمودة، وليس بغرض الإغراء.

وقد جرت العادة فى ذلك الوقت على أنه إذا رغب رجل فى غلام، وتجاوب الغلام معه فى هذه الرغبة، ذهب الاثنان معًا وأمضيا نحو شهرين فى التلال والهضاب يقضيانهما فى الصيد والمرح، وبعدها يعود الغلام إلى أسرته... وإذا حدث وفسق الرجل بالغلام إبان تلك الفترة فإنه يصبح ملزمًا بحكم القانون بدفع تعويض كبير لأسرة الغلام نظير ما لحق بغلامهم من ضرر... أما إذا عاد الرجل وغلامه وكانا لا يزال يحب كل منهما الآخر، أصبح الغلام ملازما للرجل، سواء فى الحياة اليومية العادية، أو جنبًا إلى جنب فى صفوف القتال، وعاشا معًا فى صلات وثيقة المودة والإخلاص والتفانى. والشخص المحبوب يشعر باعتزاز وفخر؛ لأن له مُحِبا يضحى بنفسه من أجله، ويتفانى فى إرضائه وخدمته!

وكان الغلمان ـ وخاصة من كان منهم على حظ موفور من الجمال ـ موضع العناية والسهر على المحافظة عليهم. فإذا كان من غير المتيسر للوالد أن يصحب ابنه خلال غدواته وروحاته للمحافظة عليه، فإنه يعهد بذلك إلى أحد العبيد الأمناء؛ لأن الغلام إذا خرج بمفرده، فإنه يكون عرضة للاغتصاب.

ومن الغريب أن الغرام بالغلمان قد أصبح مشكلة اجتماعية خطيرة، فقد أصبحت ساحات الألعاب الرياضية مكانًا يجتمع فيه الغلمان ومحبو الغلمان، بدل أن تكون أماكن لبناء الأجسام القوية؛ لذلك حرم القانون على

الرجال الذهاب إلى هذه الساحات، وكانت النتيجة أن انتشرت المواخير التى يبيع الغلمان فيها أنفسهم... وقد أثارت عادة التعاطف الجنسى مع الغلمان جدلاً طويلاً فى بلاد اليونان القديمة، واتخذ شكل مناظرات فلسفية بين أنصار عشاق الجنس المماثل وأيضا أنصار عشاق المرأة، وأخذ كل فريق يؤيد رأيه بالحجج والأدلة؛ ليبرهن على أن مسلكه هو المسك المثالى للرجل اليونانى الذى يبغى صالح الجماعة، ويضعه فوق متعته الشخصية.

*** نظرة اليونانيين إلي الجمال:**

ونجد من ناحية أخرى أن نظرة اليونانيين إلى الجمال تختلف كل الاختلاف عن نظرة أهل المشرق للجمال، فهم قد ابتعدوا كل البعد عن مثال المرأة الذى كان يرنو إليه الرجل فى المشرق.

إنهم لم يستسيغوا المرأة البدينة التى كان يفضلها أهل المشرق، إن اليونانيين كانوا لا يحبون فى المرأة النهود المليئة التى تتدلى كعناقيد العنب، ولا البطون الكبيرة، ولا الأرداف الثقيلة والأفخاذ الضخمة، بل كانوا يعجبون بمثال آخر للمرأة أقل امتلاءً وأكثر شباباً، وأقل وزناً، وأكثر نشاطاً، كان مثال المرأة الجميلة عندهم هى الفتاة المصرية الرشيقة، ذات الأكتاف العريضة، والنهود الغضة الرقيقة، والجسم الأهيف الفارع المستقيم، كانوا ينظرون إلى الجمال على أساس أنه أمر يعتمد على الجمال الروحى أكثر من اعتماده على رغبات وشهوات الجسد، وهكذا كان الجنس عند اليونانيين يدور فى فلك خاص هو فلك الجمال الروحى، ومن ثم لم يكن هناك حد فاصل بين الرجل والمرأة، وكان من السخف أن نقول إن هذا الشاب وسيم فى أنظار الفتيات دون الرجال، أو إن هذه الفتاة جميلة يتعشقها الرجال دون الفتيات، إن حالة التعاطف الجنسى لا يمكن أن تكون محصورة فى جنس واحد، ومن ثم لا يمكن أن نفصل بين الاتصال الجنسى بين أنثى وذكر، أو بين اثنين من الذكور أو اثنين من الإناث[1].

(١) المرجع السابق (بتصرف).

• الشذوذ الجنسى فى المجتمعات القديمة :

شاع الشذوذ الجنسى فى العصور التاريخية القديمة حتى صار قانوناً من قوانين «أثينا»... كما صار عرفاً وتقليداً لأهل مدينة «سودوم»[1].

وكان الشائع عند قدامى اليونان أن أشد الشعوب مقاومة وصلابة فى الحروب هى التى ينتشر فيها حب الشبان للشبان حُبا جنسيا، وأن جيشًا يتألف من شبان يحب بعضهم بعضًا هذا الحب لا يقف أمامه أى عدو مهما كان بأسه وقوته، بل إنه يستطيع أن يغزو العالم أجمع!

غير أن قانونًا من قوانين «أثينا» يقرر أن الغلام الذى يفعل هذا الفعل للحصول على المال يجرد من جنسيته، ويحظر عليه أن يشهد حفلة من الحفلات التى تُقام فى الأعياد الوطنية... وأنه إذا تسلل إلى حفلة من هذه الحفلات يحكم عليه بالإعدام.

... كما أن هناك قونوناً من قوانين «إسبرطة» يعد عمل الغلام الذى يقبل الفاحشة للحصول على المال جريمة يحكم فيها بالنفى أو الإعدام.. ولكن كلا القانونين يفيد أن هذا الفعل لا يُعَدُّ جرمًا إذا كان قد ارتكب بمحض الاختيار[2]، وبمجرد إشباع الرغبة الجنسية، لا للحصول على المال.. كما يفيد أنه لا مسئولية على الطرف الموجب فى هذه الفاحشة.

(١) هى مدينة قديمة بأرض فلسطين.

(٢) فقد جرت العادة عند قدامى اليونان ألايبحث فى طبيعة هذه العلاقات، ولا فى تفصيل الباعث عليها للوقوف عمًّا إذا كانت منبعثة عن رغبة أو عن غرض مادى، بل كانت موضع فخر واعتزاز من مرتكبيها، وموضع تحبيذ من الشعب.

ويصور ذلك «أفلاطون» كبير الفلاسفة» اليونانيين: «إنه لا يتصور منزلة من السعادة لغلام فى مقتبل حياته أرقى من أن يحظى بعشيق فاضل، ولا منزلة من السعادة لرجل أرقى من أن يكون عاشقًا لغلام جميل؛ لأنه لا يوجد ما هو أقدر من هذا النوع من الحب فى غرس العادات النبيلة الفاضلة»(١).

كما انتشر حب النساء للنساء حبا جنسيا، إلا أنه لم يستوقف النظر، لتوجه الأنظار نحو حب الذكور بعضهم بعضًا.

وعند قدامى الرومان شاع هذا الانحراف أيضًا، حتى إن معظم بيوت الأغنياء والمترفين ـ كذا بيوت المتوسطين من الناس أيضًا ـ كانت تزدان بطائفة مصطفاة من الرقيق تتألف من غلمان مخنثين بارعى الجمال، يُستخدَمُون فى اللهو والشراب، وفى إشباع النزوات المنحرفة لمواليهم، حتى لقد ارتفع ثمن هذا الصنف من الغلمان لشدة الطلب عليه عند قدامى الرومان(٢).

وقد جرت العادة فى الأسرات الأرستقراطية عندما يبلغ الغلام الحلم أن يمنح غلامًا جميلاً مقاربًا له فى السن؛ ليشبع به نزاواته الجنسية الناشئة.

بل إنه كثيرًا ما كان يحدث أن يتزوج رجل بغلام، وأن يجرى هذا الزواج الغريب فى حفل يشبه الحفل الذى يُقام للزواج العادى.

وقد لاحظ علماء الأنثروبولوجيا أن مثل تلك الأوضاع قد انتشرت أيضًا لدى كثير من الشعوب البدائية نفسها، حيث وُجد فى كثير من قبائلها غلمان مخنثون يلبسون زى النساء، ويقومون بوظائفهن، ويعيشون مع الرجال كما

(١) محاورة أفلاطون عن الحب والجمال، هى التى سماها فيدر Phedre باسم أحد أبطالها.

(٢) كان الشاب اليونانى ينظر ـ خاصة إذا كان ذا حظ عظيم من الثقافة ـ إلى المرأة نظرته إلى مجرد جسم لا روح فيه، لا يجد فى هذا الجسم ما يشبع نهمه الجنسى.. وأنه بينما كان حظه كبيرًا من الثقافة كانت المرأة فى أحط مستوى علمى وثقافى، ومن هنا كان الانجذاب للشباب.

تعيش الزوجات مع أزواجهن. . . فقد جرت العادة عند السكان الأصليين لمنطقة «كادياك» فى جنوب شرق آسيا. . . عندما يجد الأب أن أحد أبنائه يبدو عليه مظاهر أو اتجاهات نسوية، أن ينشئه كما تنشأ البنات، فيرتدى ملابسهن، ويقوم بأعمالهن المنزلية، ولا يسمح له بأن يزاول عملاً من أعمال الرجال، ولا أن يُصاحب فى طفولته إلا الفتيات والنساء. . . ومن سن العاشرة إلى الخامسة عشرة يزوجه أبوه برجل من الأثرياء.

وكان كل من يحصل على واحد من هؤلاء الغلمان يَعُدُّ نفسه ويعده الناس ذا حظ عظيم. . . وكان هؤلاء الغلمان أنفسهم موضع تقدير الشعب، حتى إن الناس يعدونهم من طوائف الكهان.

وفى بعض عشائر «الإسكيمو» وبعض عشائر السكان الأصليين للبرازيل ينتشر الشذوذ الجنسى بين النساء، فتوجد نساء مسترجلات يتشبهن بالرجال فى كل شىء، فيلبسن ثيابهم، ويحلقن رءوسهن، ويذهبن للصيد وساحات القتال مزودات بالنبال والسهام. . وتفضل الواحدة منهن أن تموت على أن تكون لها صلة جنسية مع رجل ما، وتحرص كل واحدة منهن على أن يكون لها زوجة من الإناث تعيش معها كما يعيش الزوج مع زوجته.

وعند السكان الأصليين لبعض جزر الملايو وإندونيسيا يبدو الشذوذ الجنسى كذلك فى صورة يقرها العرف العام والعادات والتقاليد. . . فعند عشائر «الباتاك» بسومطرة. . . كان الشذوذ الجنسي لا يعد جرمًا، ولا يُعاقب مرتكبوه.

وفى جزيزة «بالى» بإندونيسيا. كان يُمارَسُ الشذوذ الجنسى على نطاق واسع بين الرجال بعضهم مع بعض، وبين النساء بعضهن مع بعض بدون أن يكون فى ذلك خروج على القانون أو الأخلاق، بل لقد كان يسمح هناك باتخاذ الشذوذ الجنسى السلبى مهنة للحصول على الرزق وإشباع الشهوات.

وفى عشائر «الشنجالي» بأستراليا، كان عدد كبير من شيوخ القوم يظلون عزاباً، ولكن يتخذ كل منهم لنفسه خِدْنًا أو أكثر من صغار الغلمان يعاشرونهم معاشرة الزوجات، ويغارون عليهم.

وفى جزر «تاهيتى» يجد الشذوذ الجنسى تشجيعًا من رجال الدين أنفسهم، وتروى أساطيرهم أن الآلهة أنفسهم يمارسونه فيما بينهم.

وفى «مدغشقر» كان يوجد صنف من الغلمان المخنثين يعيشون حياة النساء، ويتصلون بالرجال، ويسمون أنفسهم أحيانًا بأسماء الإناث، ويبحثون عن الشبان ويغرونهم بالهدايا ليتصلوا بهم... ويكرهون النساء ويغارون منهن، ولكنهم يتشبهون بهن فى زيهن وحركاتهن، ويسمون «تسيكات» Tsekats (١). ومن الغريب أن العقيدة لديهم أنهم بذلك يرضون آلهتهم؛ ولذا فطوائف الشعب يُقَدِّرُونَهُمْ.

وفى بلاد الصين... انتشر الشذوذ الجنسى انتشارًا كبيرًا، حتى أصبح الناس يغضون النظر عنه، وأصبح من العادات الشعبية السائدة، حتى إنه قد أنشئ فى كثير من المدن الصينية بيوت للبغاء ترتكب فيها الفاحشة مع المخنثين من الغلمان... وكثير من الآباء المعوزين فى الصين كانوا يبيعون أبناءهم فى سن العاشرة بيع الرقيق لنخاسين يتاجرون بأعراضهم فى أعمال الشذوذ الجنسى. غير أن القانون الصينى كان يعد هذا الفعل جريمة يعاقب عليها، فى حين كان الشعب لا يعدها جُرْمًا كبيرًا، بل كان لا يوجد أى ازدراء أو احتقار لذلك(٢). كل ما هنالك أنه كان يعتقد أن هذه الأعمال قد تسبب بعض أمراض العيون...

---

(١) قد كتب عن هؤلاء باحث قديم هو «دوفلاكور» فى كتابه عن تاريخ الجزيرة الكبرى مدغشقر

(٢) كما ورد أنه كان ينظر إليها أحيانًا على أنها من أعمال العظمة الأرستقراطية، حتى لقد كان هناك غلمان من هذا الصنف فى بلاط الإمبراطور نفسه، ومن بين حاشيته.

وفى اليابان يرجع تاريخ الشذوذ الجنسى إلى عصور سحيقة فى نظر بعض الباحثين. . . وكان ينظر إليه على أنه أمر عادى، بل إن كثيراً من رجال الدين البوذيين كانوا يعيشون فى اليابان مع إخوان لهم من الغلمان يتفانون فى حبهم والعطف عليهم.

وحتى منتصف القرن التاسع عشر كان فى اليابان بيوت خاصة لهذا النوع من الشذوذ. . . وكان أدعى للفخر والعظمة للرجل أن يكون عشيقه غلامًا من أن تكون عشيقته امرأة.

ولا يزال كثير من اليابانيين فى الوقت الحاضر يعتقدون أن الشذوذ الجنسى مع الغلمان يكسب الرجال قوة وعافية[1]. ولذا فإنه لا يزال منتشراً فى معظم اليابان، ولا سيما فى جنوبيه أكثر من انتشاره فى شماليه.

وفى بعض مناطق ألبانيا جرت العادة أنه عندما يتجاوز الغلام السادسة عشرة من عمره، أن يخادن غلاماً جميلاً تتراوح سنه بين الثانية عشرة والسادسة عشرة.

وفى بلاد اسكندينافيا «السويد والنرويج والدانيمارك» انتشر الشذوذ الجنسى فيها منذ أقدم العصور[2]. وكان لا ينظر بعين الازدراء إلا للطرف السالب فى هذا الشذوذ، أما الطرف الآخر فلم يكن فعله جريمة فى نظر الناس، بل كان موضع فخر واعتزاز، بدليل أنه فى بعض ملاحمهم القديمة كان يفتخر بطل القصة بأنه قد أنجب أولادًا من غلام جميل اتصل به!

---

(١) نشير هنا إلى أن القانون البابانى لم يتعرض لذلك الشذوذ ولم يضع عقوبات إلا بعد ثورة اليابان عام ١٨٦٨.

(٢) يلاحظ اشتمال اللغات الإسكندينافية القديمة على مجموعة كبيرة من الألفاظ الخاصة المعبرة عن عمليات هذا الشذوذ وأوضاعه.

ومن المعروف فى الوقت الحاضر أن الشذوذ الجنسى لم ينتشر فى أى بلد أوربى بمثل انتشاره فى السويد والنرويج والدانيمارك، حتى كاد الناس هناك لا يرون فيه خروجًا كبيرًا على مبادئ الأخلاق[1].

وفى بيرو بأمريكا الجنوبية... كان عند السكان الأصليين معابد فيها غلمان مخنثون ينظر إليهم على أنهم رهبان، يتصل الآلهة أنفسهم بهم اتصالا جنسيا فى بعض أيام الأعياد... ولذا تعد أفعالهم هذه أفعالا جليلة.

وفى المكسيك انتشر أيضاً الشذوذ الجنسى لدى السكان الأصليين، وأصبح ينظر إليه على أنه أمر مباح، ولا سيما فى مناطقه الريفية.

وفى منطقة «كمبرلى» فى غرب أستراليا جرت العادة عند السكان الأصليين على ممارسة الشذوذ الجنسى، فكان الشاب يتزوج غلامًا صغيرًا بين الخامسة والعاشرة من عمره حينما لا يجد فتاة يتزوجها[2].

ويراعى فى هذا الزواج جميع الطقوس التى تراعى فى الزواج بالإناث، وتترتب عليه جميع نتائجه، حتى إنه ليحرم على الزوج أن يتزوج أو يقرب أم الغلام الذى تزوج به، مثلما يحرم عليه حينما تكون الزوجة أنثى.

... ولما كان كبار القوم فى هذه العشائر يستأثرون بالنساء، فإن كثيرًا من الشبان قد يصل إلى الأربعين من عمره بدون أن يتيسر له الحصول على زوجة من النساء... ومن ثم نشأت هذه العادة، واتجه كثير من الشبان إلى الزواج بصغار الغلمان... ويسمون الزوج «حاميًا» للغلام.

---

(١) هذا كما نقرأ ونسمع عنه من مصادر متعددة، سواء فى قراءات أو مِمَّنْ ذهب إلى هناك وعايش ظروفهم وحياتهم.

(٢) يطلقون على هذا الصنف من الغلمان اسم «الشوكادو» أو «الملاونجا».

وفى ايران. . . انتشر الشذوذ الجنسى انتشاراً كبيراً منذ أقدم العصور، وإن كانت الديانة «الزرادشتية» التى كانت سائدة لديهم قبل الإسلام تقسو كل القسوة فى عقاب من يمارس الشذوذ الجنسى، حيث تعد أن هذا الجرم لا كفارة له، ولا تقبل من صاحبه التوبة، وأن مرتكبه يُعَاقَب فى الدينا بالإعدام وفى الآخرة بالعذاب الأليم(١).

وفى عشائر «الأندونجا» بالجنوب الغربى بإفريقيا ينتشر الشذوذ الجنسى بين الرجال بعضهم مع بعض. . .

وفى بعض العشائر بزنجبار، ما زال يوجد نساء مسترجلات يتشبهن بالرجال فى كل شىء، ويشبعن رغباتهن الجنسبة المنحرفة مع نساء منحرفات انحرافاً سلبيا، فإن لم يجدن هذا الصنف من النساء عملن على التغرير بنساء عاديات، واستمالتهن بالهدايا أو بأى وسائل أخرى. وذلك برغم أن النظم الأخلاقية تحرم ذلك تحريماً باتا.

*** الحب الفروسي فى القرون الوسطى:**

كانت النساء تشعر بسعادة غامرة عندما يفرضن على المعجبين بهن، الساعين إلى إشباع رغباتهم الجنسية منهن، أن يقوموا بأعمال معينة من أجلهن، على أن يكون الجزاء الأوفى أجسادهن يمنحنها لهم عن طيب خاطر. وكانت بعض هذه الأعمال ذات خطورة، وهو ما كان يجعل المرأة واثقة من تقدير الرجال لمفاتن جسدها!

وفى بداية الأمر كانت النساء تعطى فرسانهن أشياء تخصهن كبراهين على تقديرهن لهم، واستعدادهن لتلبية رغباتهم. . . ومن هذه الأشياء المناديل

(١) كتاب الفانديداد Vendidad وهو أهم أسفار زرادشت.

المطرز عليها اسم المرأة، أو الأحرف الأولى من اسمها واسم عائلتها. . . ولكن هذا التقليد ما لبث أن تطور فأصبحت النساء يهدين الفرسان قطعًا من ملابسهن الداخلية.

والغريب فى الأمر أن يصبح نموذج المرأة التى تقيم علاقات مع أكبر عدد من الرجال هو النموذج المفضل، حيث يستحوذ على إعجاب الرجل الذى يتخيلها امرأة شهوانية قادرة على تحريك أحاسيسه وغرائزه الجنسية[1].

وأصبحت النساء ينافسن الرجال فى الانحلال والمجون، ويتبارين معهم أيهما أكثر قدرة على اتخاذ العشاق.

وكان الرجل لا يحرك ساكناً إذا رأى زوجته مع عشيقها، بل منهم من كان يرحب بالعشيق فى بيته ويتخذه صديقاً له.

وكذلك النساء لم يكن يتحرجن من الحديث عن عشاقهن، وذكر ما لديهم من مزايا. . . وكانت النتيجة أن تفككت الأسرة، وانصرفت عن الإنجاب إلى اللهو والمجون[2].

* * *

(١) اضمحلال العصور الوسطى: يوهان هويزنجا، ترجمه عبد العزيز جاويد (بتصرف).

(٢) تاريخ العالم أوروسيوس تحقيق الدكتور عبد الرحمٰن بدوى (بتصرف).

● حزام العفة:

فى العصور الوسطى، وجد الأزوج أنه ليس من الضرورى للدفاع عن شرفهم والمحافظة عليه تجريد السيوف والدخول فى معارك مع من تسول له نفسه الاعتداء على حرمة نسائهم، فابتكروا وسلية للمحافظة على نسائهم من جريمة الزنى، ذلك أنه كان عندما يخرج التاجر أو أى صاحب عمل إلى جهة نائية لقضاء حاجة له، كان يحمى زوجته من إغراء الفَسَقَة الفاجرين عن طريق ما كان يُعرف فى ذلك الوقت باسم «حزام العفة»(١).

وتذكر بعض المراجع التاريخية أن ابتكار تلك الوسيلة لحماية المرأة ترجع إلى «هوميروس» الذى وصف فى «الأوديسة» كيف أن «أفروديت» إلهة الجمال قد خانت زوجها «هينايستوس» مع أخيه «آرس»؛ لذلك عمد الزوج إلى صُنْعِ حزام يحول دون ارتكاب هذه الجريمة مستقبلاً.

وقد لجأ اليونانيون القدماء إلى هذه الوسيلة الخشنة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى جهات أخرى، ثم عم استخدامها أوربا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر تحت اسم حزام «ڤينوس» أو حزام «فلورنسا». . وقد أُدخلت بطبيعة الحال عدة ابتكارات لتحسين وتسهيل استخدام هذا الحزام، كما كان

(١) هذا الحزام عبارة عن هيكل معدنى فى إتساع راحة اليد يُلبس حول عورة المرأة ولا يترك لها سوى ثقب صغير يسمح لها بقضاء حاجاتها الضرورية منه، وكان هذا الحزام يُقفل عند أعلى الفخذ بقفل متين، ويحتفظ الزوج معه بمفتاح لهذا القفل.

الأثرياء يزينونه بالذهب والأحجار الكريمة. . . وبرغم أن هذا الحزام كان موضع سخرية وهجوم من البعض فإن كثيرًا من الأزواج شعروا بالأمان، برغم شدة الانتقادات التى وُجهت له، وظل هذا الحزام مستخدمًا حتى القرن التاسع عشر.

*** الحمامات العامة:**

من بين منشآت العصور الوسطى التى كانت تهدف إلى الإثارة والمتعة الجنسية الحمامات العامة التى كانت موجودة فى كثير من المدن الأوربية الكبرى. .

وكان الحمام عبارة عن بناء متواضع شُيد على أنه حمام. . . ويقوم فى وسط هذا البناء حوض يتسع لخمسة أو ستة أشخاص. . ولم يكن يستخدم هذا الحوض للسباحة، وإنما كان بغرض استمتاع المستحمين فيه بالاحتكاك الجسدى بين بعضهم البعض. . . وكانت النساء فى هذه الحمامات يستقبلن العملاء وهن عرايا فيه، وقد يرغب بعض هؤلاء العملاء فى أن يكون له حوضه الصغير الذى يتسع له وللمرأة التى معه دون غيرهما من العملاء!

*** معنى الرجولة فى عصر النهضة:**

كان عصر النهضة هو عصر الرجولة بوجه عام، ولم يكن الرجل فيه يبرهن على رجولته بما يقوم به من أعمال البطولة، وإنما كان مقياس رجولته حيويته الجنسية.

وكانت المؤلفات الخاصة بالجنس التى ظهرت فى عصر النهضة تؤكد بصفة خاصة هذا المقياس، وتجعل له الصدارة بين صفات الرجولة. وحيث إن المرأة فى ذلك العصر كانت نهمة جنسيا ولا يخمد لها أوار، كان الرجل الذى لا يستطيع إشباعها جنسيا يشعر بالخجل والخيبة، ويكون فى الوقت ذاته موضع سخريتها.

ولما كانت القوة الجنسية هى مقياس الرجولة، فقد كان الشباب هم المفضلين بطبيعة الحال عن الرجال المسنين.

وكانت نتيجة هذا كله أن لجأ الرجال إلى الأدوية والعقاقير التى تزيد من القدرة الجنسية؛ لكى يستطيعوا القيام بمهمة الرجل الكامل على خير وجه.

وكم من القصص والروايات تحكى كيف كان الرجل فى عصر النهضة يهرع إلى الأطباء يطلب مشورتهم لزيادة قوته الجنسية، أو يطلب مشورة أصدقائه المقربين لمعرفة كيفية التغلب على مشلكته من خلال خبرته وتجاربه.

وكان المألوف أيضاً أن يتزوج الرجل الكبير المسن من فتاة صغيرة على زعم أن ذلك يزيد من رغبته الجنسية ويقويها!

وكان السبيل الوحيد أمام المرأة المتزوجة التى لا تجد الشبع الجنسى فى ظل الزواج وحده أن تبحث لها عن العشيق الشاب الذى يكمل مهام الزوج.

*** الأبناء غير الشرعيين:**

لم يكن هناك فى عصر النهضة أى تحامل اجتماعى على الولادة غير الشرعية، وكان الأبناء غير الشرعيين أكثر وجودًا بين الأسر الحاكمة والطبقات العليا منهم بين الطبقات الوسطى

وكان الأبناء غير الشرعيين يُعامَلُون على قدم المساواة مع إخوانهم من الأمراء الشرعيين، غير أنهم لا يرثون العرش.

وقد كانت هناك طبقة خاصة من النبلاء تتألف من الأبناء غير الشرعيين للأمراء والملوك، وكانت تستمتع بالمراكز الاجتماعية والألقاب التى يستمتع بها إخوانهم الشرعيون، وكانوا يتزوجون فيما بينهم، فقد كان الابن غير الشرعى

للدوق يتزوج الابنة غير الشرعية لدوق آخر، ولكن لو تزوج من الابنة غير الشرعية شخص من أهل الطبقة الدنيا فهنا يكون الخروج على التقاليد المرعية؛ لأن الزواج فى هذه الحالة يعد غير متكافئ!

* * *

* **العشيقات**(١):

فى عصر النهضة حتى بداية الثورة الفرنسية كان نفوذ العشيقات فى بلاط الملوك والأمراء يفوق نفوذ الزوجة الشرعية فى كل ما يتصل بشئون البلاط والسياسة والعلاقات الدولية. وكان الملك أو الأمير الذى لا يحتفظ لنفسه بعشيقة يعد شخصاً منطوياً على نفسه، ولم يصل إلى مرتبة التحضر والتمدن.

وتجدر الإشارة إلى أن النساء اللاتى يتصل بهن الملوك والأمراء اتصالا جنسيا، وكذلك الرجال الذين تتصل بهم الأميرات من ذوى العروش والتيجان ينقسمون إلى ثلاث فئات: الأزواج... العشاق... شركاء فى اللذة. وكان من الضرورى أن تكون الزوجة سليلة أحد بيوت الملك، أو تمت إليه بصلة.. والأبناء الذين يولدون نتيجة هذا الزواج هم وحدهم الذين لهم الحق فى وراثة العرش... وغالباً ما يكون الطلاق هو مصير الزوجة التى لا تنجب.

---

(١) كان رجال الشرطة يسرقون الفتيات الحسناوات اللواتى تتراوح أعمارهن بين التاسعة والثانية عشرة من أمهاتهن بمختلف الحيل والوسائل، ويذهبن بهن إلى قصر «فرساى»... وهناك يحتفظ بهن فى أجنحة خاصة من أجنحة القصر، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منهن... وكان الملك يقضى الساعات الطوال بين هؤلاء الفتيات؛ إذ كان يجد متعة كبيرة فى قيامه بتعليمهن الكتابة والقراءة وتلاوة الصلوات الكنائسية، فضلاً عن أنه كان يتولى بنفسه تزيينهن والعناية بهن، وهو فى كل هذا يعدهن لمصيرهن المحتوم، وهو متعة الملك وغرامه الخاص.. المرجع السابق (بتصرف).

أما فئة العشاق، فكان الملك أو الأمير يتخذ له العشيقة التى يخلع عليها هذا اللقب.. ويعتبر مركز العشيقة مركزًا مرموقاً، وخصوصا فى الحياة السياسية، فقد كان رجال البلاط والوزراء ورجال السلك السياسى يخطبون ودها، ويطلبون رضاها، للحصول منها على ما عز الحصول عليه من الملك؛ أو الأمير الحاكم.

على أنه فى الوقت ذاته كان أكثر العشيقات قوة ونفوذا يعتمدن كل الاعتماد على حظوة الحاكم ورضائه، إذ لم يكن لديهن أى ضمان شرعى على دوام هذا الحال، فقد كن عرضة لفقدان هذه الحظوة من يوم لآخر، والخروج من البلاط، ولم يكن أمام العشيقة منهن لو حدث لها ذلك إلا الاعتزال فى دير من الأديرة، أو أن تتزوج زوجًا مناسبًا تعيش معه حياتها المتبقية.

ويلاحظ أنه كثيراً ما أنجبت هذه العلاقات الجنسية مع العشيقات ذرية كثيرة كانت تنعم بأرفع الألقاب والرتب التى يخلعها عليهم الملوك والأمراء.

* * *

* الآداب الجنسية المكشوفة فى عصر النهضة!

فى القرن السادس عشر لم يسمح بكتابة ونشر أى كتابات تتعرض لأمن وسلامة البلاد. وكان ذلك كافياً لأن يجعل من مدينة «البندقية» مركزًا للأدب الجنسى المكشوف... وقد استغل النائب الإيطالى «أرتنيو» هذه الرخصة أحسن استغلال، وأصدر عدة مؤلفات[1] فى الأدب الجنسى المكشوف، تناول فيها خيانة النساء المتزوجات وشذوذ الراهبات، وكيف تعد الفتيات الصغيرات

(١) لا تزال هذه المؤلفات محفوظة فى بعض المكتبات العامة الأوربية التى أمكنها العثور على نسخ منها.

لكى يصبحن محظيات من الدرجة الأولى.. كما له كتابات تفيض بالتقى والورع، مثال ذلك كتابه المسمى إنسانية المسيح، وهو فى ثلاثة مجلدات!

والغريب أن هذا الكاتب نفسه له أشعار جنسية مكشوفة... ولم يكن يثار فى ذلك الوقت أى موضوع من موضوعات الجنس، أو المتصلة بالمعايير الخلقية إلا وكان «لأرتنيو» صوت مسموع فيها... وقد اشتهر بصفة خاصة بأنه شاعر الجنس[1]. وهو يقول «إن الشعراء قد حاولوا من وقت لآخر أن يروحوا عن الأنفس بكتابة بعض الأشعار التى تتطرق إلى النواحى الجنسية، وإنى قد قمت بدورى بنظم هذه الأشعار الجنسية متحديًا فى ذلك الرياء المصطنع، والنفاق الذى يرين على بعض ذوى النفوس الضعيفة، لقد تحايل علينا الشيطان[2] فسلبنا هذه المتعة، وحرمنا من النظر إلى الأشياء التى تبعث فينا أقوى الأحاسيس باللذة، وذلك تحت ستار ما يسمى بالحشمة والوقار، ماذا يضيرنا إذا نظرنا إلى رجل يعلو امرأة؟ لماذا تستمتع الحيوانات بحرية أكثر مما نستمتع نحن بنى البشر؟ إنه لجدير بنا أن نقوم برسم الصور وصنع التماثيل التى تعبر عن هذه الغريزة التى حبتنا بها أمنا الطبيعة لحفظ النوع، وهى الغريزة التى تسيطر على كل فعالنا، وتأخذ بخناقنا فى كل لحظة وحين».

وهكذا شغلت الحياة الجنسية مساحة بارزة فى آداب عصر النهضة، وخاصة فى الأدبين الإيطالى والفرنسى... وكانت قصص الحب فى تلك الحقبة تدور حول موضوعين رئيسيين، وهما المرأة المتزوجة التى تخون زوجها، والفتاة

---

(١) لم يكن «أرتنيو» يفعل ذلك لمجرد إشباع هوايته فى هذه الناحية أو لتزجية أوقات فراغه، إنما كان يصدر فى ذلك عن فلسفة خاصة تتصل بالجنس!

(٢) غريب أن يطلق على الوازع الأخلاقى فى النفس الشيطان!!

التى تتقابل مع حبيبها سرا، على الرغم من تضييق والديها، وهى غالبًا ما تضحى بعذريتها له قبل الزواج.

*** أثر العزوبية على رجال الكنيسة[1]:**

يلاحظ أن نظام العزوبية قد أدى إلى كثير من الرذائل؛ لأنه مخالف فى الواقع للطبيعة البشرية، ولم يسلم من ذلك رجال الكنيسة أنفسهم، وخاصة منذ القرن الثامن، والقرون الثلاثة التى أعقبته[2].

ومن المعروف فى تاريخ الكنيسة أن البابا يوحنا الثالث عشر كان من المنغمسين فى الفسق والفجور ومضاجعة المحارم.

كما وجد فى عام ١١٧١ أنَّ أحد رؤساء الأديرة فى «كانتربرى» كان له سبعة عشر ولدًا غير شرعى فى قرية واحدة... وكان لآخر فى إسبانيا عام ١١٣٠ ما لا يقل عن سبعين محظية.

كما كان لأسقف «ليج» هنرى الثالث خمسة وستون ولدًا غير شرعى.. وقد أفاض الكتاب فى المراجع التاريخية ـ بذكر أديرة الراهبات التى كانت أشبه بالمواخير، وبكثرة المواليد الذين قتلوا داخل أسوار هذه الأديرة.

...كما ذكرت المراجع التاريخية كيف تفشت ـ إبان العصور الوسطى ـ جريمة غشيان المحارم بين رجال الكنيسة، الأمر الذى أدى إلى إصدار القوانين المشددة التى تمنع القساوسة من العيش مع أمهاتهم وأخواتهم وغيرهن من المحارم.

---

(١) يلاحظ أن موضوع عزوبية رجال الكنيسة من الموضوعات التى وفاها الباحثون والكُتَّاب حقها من البحث والتعليق.. ولكن لضرورة الالتزام بالوحدة الموضوعية لما نحن بصدده من نقاط حيوية أوردناها هنا.

(٢) من المعروف أنه قد اعتلى كرسى البابوية خلال القرن العاشر رجال سيئو السمعة، كانت لهم مغامرات جنسية غير مشروعة.

كذلك شاع اللواط بين رهبان الأديرة، وكان من الأمور التى نشطت الكنسية لمحاربتها والقضاء عليها. كما شاع زواج القساوسة سرا، أو اتصالهم بزوجاتهم اللواتى تزوجوا بهن قبل الرسامة، برغم أن عدة مجالس دينية قد أصدرت ما يفيد لعنتها وإدانتها للقساوسة الذين يتصلون بزوجاتهم اتصالا جنسيا ممنوعاً عليهم؛ ولذا صدرت تعليمات بعدم مقابلة الواحد منهم زوجته إلا فى أماكن مفتوحة، وبحضور شاهدين على الأقل.

واعترض بعضهم، حيث رأى أن ذلك أكثر مما يمكن أن تتحمله الطبيعة البشرية، فنجد مثلاً أنه عندما اختير «سينسيوس» لمنصب الأسقفية تلكأ فى القبول فى بادئ الأمر، وذكر بشجاعة أن من أسباب إحجامه أن له زوجة، وأنه يحبها كثيرًا، ويطمع فى أن يكون له منها ذرية كثيرة، وأنه لا يطيق الابتعاد عنها، ولا يحب أن يزورها سرا كما يفعل الفُسَّاق.

ولعل المحرك الأساسى الذى أدى إلى هدم الحياة الزوجية عند القساوسة هو «هلدبراند»، الذى اعتلى فيما بعد كرسى البابوية باسم «جريجورى السابع»، فقد اهتم هذا الرجل بهذا الموضوع، وسعى إلى تحقيقه بكل ما أُوتى من عزم وتصميم. وهو عندما وجد أن مساعيه عند رجال الكنيسة المسئولين غير كافية، لجأ إلى المواطنين، وحرضهم على الخروج على طاعة القسس المتزوجين، وألهب فى نفوسهم روح الزهد والتقشف، الأمر الذى سرعان ما أدى إلى إيقاع العقاب الصارم بالقسس الذين يخرجون على تعاليم الكنيسة من حيث الابتعاد عن الزوجات ومضاجعتهن، وحدث نتيجة لذلك الكثير من أعمال العنف التى أصابت عددًا من القساوسة وزوجاتهم.

ومن ناحية أخرى ثار بعض القساوسة ضد هذا التعصب الشديد والتزمت فى مثل هذه الأمور، فنجدهم يحرقون فى عام ١٠٧٧ متعصبًا كان متحمسًا لآراء «هلدبراند».

ومهما يكن من أمر، فقد انتصرت الكنيسة آخر الأمر إزاء تصميمها على إبعاد رجال الكنسية من هذا الذى يلوثهم نتيجة لهذه العلاقات الجنسية[1].

* * *

*** البغاء الدينى أو المقدس:**

عرفت الشعوب القديمة[2] هذا النوع من البغاء الذى كانت تمارسه بعض النساء تقرباً للآلهة، وإرضاء لها.

وكان هذا البغاء على نمطين:

النمط الأول... كانت تمارسه المرأة مع رجل غريب عنها، وغالباً ما تكون عذراء... وكان يجرى بهدف إرضاء لآلهة إناث، ولمرة واحدة فى حياتها.

وقد روى «هيرودوت» أن المرأة فى «بابل» كان ينبغى عليها أن تجلس مرة واحدة فى حياتها فى فناء هيكل الإلـهة «ميلتيا» Milita وأن تضاجع غريبًا عنها.

وكان النسوة يجلسن فى ممرات مستقيمة فى الفناء، ويمر الغرباء ليختاروا من النساء من يرتضون، فإذا جلست المرأة هذه الجلسة، كان عليها ألاَّ تعود إلى منزلها حتى يلقى أحد الغرباء قطعة من الفضة فى حجرها، وعليها أن تأخذها مهما قلت؛ لأنها مقدسة، ويضاجعها الغريب خارج المعبد... وعلى من يلقى القطعة أن يقول للمرأة: «أضرع إلى الإلـهة «ميلتيا» أن ترعاك، فتنالى بما فعلت رضا الآلهة وبركتها»، وتعود بعد ذلك إلى منزلها، ولا يستطيع أحد بعد ذلك أن يغريها أو أن ينال منها مأربًا مهما بذل لها من المال[3].

وإن فعلت فتكون زانية تستحق العقاب!

---

(١) تطور العلاقات الجنسية: أحمد الشنتناوى (بتصرف).

(٢) مثل بلاد اليونان، وقبرص، وآسيا الصغرى.

(٣) قصة الحضارة: ول ديورانت، الجزء الثانى (بتصرف).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه العادة كانت مقصورة على العذارى قبل زواجهن لينلن بركة آلهات الخصب والحب والجمال.

وفى «قبرص» كانت العذارى يذهبن إلى ساحل البحر فى أيام معينة من السنة، وتضاجع الفتاة من يطلبها من الغرباء لقاء أجر تقدمه إلى الإلهة «**فينوس** Venus».

وفى «أرمينيا» كانت العذارى يفعلن مثل ذلك لنيل بركة الإلهة «أنائيس» Anais، وكانت كل أسرة أرمنية ـ حتى الأسرات الأرستقراطية الراقية ـ تبعث ببناتها إلى المعابد ليزاولن البغاء المقدس فترة معينة فى حياتهن.

وفى «بعلبك» كانت العذارى يقصدن معبد «أفروديت Aphrodite» للقاء غريب يضاجعهن... ومثل ذلك كانت تفعل عذارى «ليديا» و«كورنت» وغيرها من بلاد اليونان وآسيا الصغرى[1].

والنمط الثاني... كانت تمارسه بعض النساء لمدة طويلة مع كهان المعبد وزواره، وكان يجرى إرضاء لآلهة ذكور.

ففى مصر القديمة كانت العادة ـ حتى الفتح الرومانى ـ أن تختار أجمل بنات الأسر الشريفة فى مدينة «طيبة» العاصمة، وتنذر نفسها للإله «آمون». وكانت تضاجع من تختاره من الرجال إرضاءً للإله، فإذا أصبحت عاجزة عن إرضائه أخرجت من خدمته بمظاهر التشريف والتعظيم، وتزوجت فى أرقى الأوساط الاجتماعية[2].

وفى الهند كانت تقوم على خدمة المعبد فتيات يرقصن أمام الآلهة، وينشدن الأناشيد الدينية لإثارة الحماس الدينى فى المتعبدين، ويدعين

---

(١) قصة الزواج: إدوارد وسترمارك (بتصرف).

(٢) قصة الحضارة: ول. ديورانت (الجزء الأول).

راقصات المعبد، فإذا فرغن من الرقص والغناء فُتحت لهن حجرات حول المعبد، وفيها يضاجعهن الكهان والزائرون إرضاءً للآلهة، ويتحول المعبد ماخورًا.

وفى بابل كان قانون «حمورابى» يميز بين النساء اللاتى يزرن المعبد ويمارسن الحب فيه لأول مرة، وبين النساء اللاتى يقمن على خدمة كهنته وزواره، ومنها مضاجعتهن[1].

وجدير بالإشارة أن مضاجعة الغريب تقوم على الاعتقاد بأنه قد يكون ملكًا ظهر على صورة إنسان، وأن بركته تفيض على المرأة إذا ما ضاجعها، حيث إن الملائكة قد تظهر على صورة بشر.

ومن هنا كان الاعتقاد فى ضرورة مضاجعة كهنة المعبد وزائريه للنساء اللاتى أوقفن أنفسهن لخدمة المعبد، وذلك إشباعًا لنهم آلهة الإخصاب الموكلة بإخصاب الحقول والأشجار، وازدياد المواليد فى الكائنات الحية[2].

وبجانب هذا الصنف من البغايا كان يوجد صنف آخر من البغايا يعرفن باسم «البغايا الراقيات» اللاتى يتميزن بجمالهن الباهر، وذكائهن الوقاد، وكُنَّ موضع تقدير كثير من الناس، بل كان عظماء الرجال أنفسهم يحرصون على الاتصال بهن، حيث يعتبرن من الطبقات الراقية فى المجتمع.

وكان كثير من اليابانيين يخصصون بناتهم للبغاء للانتفاع بأجورهن فيلحقونهن بمنزل من منازل الفسوق حيث يقضين حياتهن كلها، أو فترة منها... وما كان يجوز للبنت أن تعصى أباها، ولا أن تعترض على أمره.

يضاف إلى هؤلاء طائفة أخرى كبيرة العدد ممن يسلكن هذا الطريق بمحض اختيارهن؛ ومن ثم انتشر البغاء فى اليابان انتشارًا مروعًا، حتى إن الحكومة

---

(١) قصة الزواج: إدوارد وسترمارك (بتصرف).

(٢) المرجع السابق: (بتصرف).

الحاضرة لتجد صعوبة فى القضاء عليه أو تخفيف مضاره[1].

وقد جرت عادة بعض الأزواج فى الصين أن يقدموا زوجاتهم للبغاء للانتفاع بأجورهن... ولذلك ورد فى تشريعهم المعروف بالأوامر أنه إذا أكره رجل امرأته على البغاء ليبتغى من وراء ذلك عرض الحياة الدنيا، وانتحرت المرأة حتى لا تقترف هذا المنكر، وجب أن يُقام لها على مقربة من منزل أبيها نُصُب تذكارى على هيئة «قوس النصر».

وكان كثير من الدول المتحضرة فى العصور الحديثة فى أوربا وأمريكا وغيرهما تقر البغاء الرسمى، وتسن له اللوائح والقوانين، وتنتفع حكوماتها بما تدفعه تلك البغايا من رسوم وضرائب... ولا يزال هذا النظام معمولاً به فى كثير من هذه الدول فى وقتنا الحاضر.

وانتشار البغاء فى الشعوب البدائية يُعد من الظواهر المألوفة: ففى جزر «جرونلاند» كانت مزاولة البغاء تعد أمرًا مباحًا، ولكن كان يحرم ارتكاب الفاحشة على غير البغايا من الفتيات، وكان يعد من الكبائر أن تحمل فتاة غير بغيٍّ من السِّفَاح...

وعند عشائر «الأوماهاس» من عشائر الهنود الحمر، كان يحرم البغاء إلا مع البغايا العموميات اللاتى يسمين «المنكيدا».

وعند عشائر «الإنكا» بأمريكا الجنوبية يُزَاوَلُ البغاء العام على أنه أمر مباح، ويعدُّونه وسيلة لاتقاء كثير من الأضرار الصحية والاجتماعية، وإن كان يُنْظَر إليه وإلى من يزاولنه نظرة احتقار.

---

(١) غرائب النظم والتقاليد والعادات: د. على عبد الواحد وافى.

ومن أظهر أمثلة البغاء المقدس عند الشعوب البدائية ما ذكره علماء الأنثروبولوچيا عن بعض زنوج إفريقيا[1] الذين ينظرون إلى البغاء على أنه عمل من أعمال البر الدينى، حتى إن الموسرات من النساء ليشترين إماء يخصصن للبغاء، ويتخذن من ذلك وسيلة للتقرب إلى الله... «كما تفعل الموسرات من نساء إنجلترا، إذ يوصين قبل وفاتهن بجزء من ثرواتهن لعمل خيرى عام»[2].

وفى ساحل العبيد بإفريقيا يوجد فى كل مدينة من مدنهم مؤسسة تقدم إليها الفتيات الجميلات من سن العاشرة إلى الثانية عشرة.... ويقضى هؤلاء الفتيات بهذه المؤسسات ثلاث سنين يتعلمن فى أثنائها الرقص الدينى، وترتيل الأوراد المقدسة فى صوت غنائى شجى... فإذا انتهت مدة تعلمهن تخَصَّصْنَ للبغاء المقدس، ويصبحن من الناحية النظرية وقفًا على رجال الدين، وإنْ كُنَّ فى الواقع لا يمتنعن عمن يريدهن من غيرهم ... وينظر الناس إليهن فى هذه البلاد على أنهن زوجات للآلهة... ويعتقدون أن ما يأتينه من أعمال ليس إلاَّ نوعًا من أنواع العبادة التى يتقرب بها إلى الله زلفى، ويستدر بها عطف السماء؛ ولذلك كان ينظر إلى من يأتين به من أولاد على أنهم أولاد الله.

وفى ساحل الذهب يحرم على الراهبات الزواج، ولكن كن يزاولن نوعًا من البغاء المقدس يشبعن عن طريقه رغباتهن مع من يشأن من الرجال... فإذا راق فى أعين إحداهن رجل ما دعته إلى منزلها، وأنهت إليه أن الإلـه الذى وقفت حياتها على عبادته قد أوحى إليها أن تتخذه عشيقًا لها، فيغتبط

---

(١) Read: Savage Africa.

(٢) Ellis: Tshi - speaking peoples.

الرجل الذى وقع عليه هذا الاختيار، ويظل حبيسًا لديها يحقق لها رغباتها حتى تمله، فتستبدل به رجلاً آخر تعيد معه القصة نفسها، وهكذا دواليك!

وقد تجمع الواحدة منهن أكثر من رجل واحد فى منزلها، بحيث قد يصل عدد عشاقها إلى ستة رجال، أو نحو ذلك.

وتسير الواحدة منهن فى الحفلات المقدسة يحيط بها عشاقها، كما تحيط الحاشية بملكة أو أميرة، فحياتهن حياة فسق وفجور.

وقد ينحدر بعضهن إلى مستوى حيوانى وضيع، وخاصة عندما يهيجها الرقص الدينى الذى تزاوله من حين لآخر.

وبرغم ذلك لا يعد انتشار «البغاء المقدس» عند البدائيين شيئًا مذكورًا إذا قيس بمقدار انتشاره عند الشعوب المتحضرة فى العصور القديمة... فعند قدماء العبريين كانت توجد طائفة من النساء تزاول البغاء فى المعابد[1]... وكان يعتقد أنهن يجلبن الخير والبركة لمن يتصل بهن.

وعند قدماء الكنعانيين كانت توجد طائفة من النساء يطلق عليهن اسم «كيد يشولح» أوقفن أنفسهن على خدمة المعبد، ووهبن أجسادهن للبغاء المقدس.

وكان أهالى بعض مدن اليونان ينذرون بتخصيص بناتهم للبغاء المقدس فى المعابد إذا أمدتهم الإلهة «أفروديت» بعون منها، وخرجوا منتصرين على أعدائهم.

كما جرت عادة سراة اليونان فى «أثينا» وغيرها أن يخصصوا بعض إمائهم للبغاء فى معبد الإلهة «أفروديت» على أن يخصصن دخلهن من هذه المهنة

---

(١) الإصحاح الرابع: فقرة ١٤.

لصندوق المعبد نفسه، حيث يعد تقديم الإماء على هذا النحو من صالحات الأعمال. . . حتى لقد كثر عدد هذا الصنف من الفتيات، وضاقت عليهم المعابد بما رحبت.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن البغاء المقدس لم يكن يُنظر إليه فى أية صورة من صوره على أنه مظهر من مظاهر الشيوعية الجنسية المطلقة.

*** فض البكارة عند بعض الشعوب قديماً:**

عند بعض قبائل إفريقيَّة كانوا يفضون بكارة البنات وهن صغار، وتتولى الأم هذه المهمة، أو يتولاها رجل مُسِنٌّ.

وعند قبائل أخرى يقوم الأب نفسه بفض بكارة ابنته قبل زفافها؛ لأن من حقه أن يجنى ثمرة النبتة التى غرسها(١).

وهناك قبائل تعهد إلى رجل غريب بفض بكارة الفتاة قبل زفافها، ويرجع ذلك إلى الاعتقاد بأن دم البكارة نجس كدم الحيض، وأن فيه خطرًا على الزوج. . . فى حين يعهد بهذه المهمة إلى السحرة عند جماعات أخرى، حيث الاعتقاد بقدسيتهم التى تحول النجس إلى طاهر، فتحجب بذلك المخاطر عن الزوج، وتمنح البركة للزوجين. . . . .

وكان من سعادة المرأة أن تحمل من هذا الوصال؛ لأن ولدها سيكون مطهرًا ومن الصالحين(٢).

وفى أوروبا كان يعهد إلى رجال الدين المخصيين ـ فى العصور الوسطى ـ بفض بكارة المرأة قبل زفافها. فقد كان من عادة المسيحيين فى تلك العصور

(١) قصة الزواج: إدوارد وسترمارك (بتصرف).

(٢) المرجع السابق (بتصرف).

أن يخصوا بعض أولادهم ويقفوهم على خدمة الكنيسة فلا يتزوجوا. وكان المسيحيون يفضلون هؤلاء على غيرهم من الرهبان؛ لأنهم يكرهون إحبال نسائهم من رهبانهم، ويرون فى المخصيين أمانًا من الإحبال. وكانت العادة آنئذٍ أن تحمل العروس إلى إحدى الأديرة ليفترعها راهب أو رجل دين مخصيٌّ... وقد ظلت هذه العادة سارية حتى القرن السابع عشر[1].

هذا، وقد شارك الملوك وكبار رجال الدولة فى أوربا الكهان فى افتضاض بكارة العذارى، فقد كان لهؤلاء فى نظر الناس قدسية لا تقل عن قدسية رجل الدين، فكان من حقهم أن يمضوا الليلة الأولى مع كل عروس تزف إلى زوجها، ويسمى هذا الحق «حق الليلة الأولى»، أو «حق التفخيذ»[2].

كما كانت عادة فض بكارة العذارى من قبل الملوك وذوى الجاه معروفة عند العرب القدامى، وهم العرب العاربة والبائدة الذين أبادتهم الحروب والغزوات.

ويروى الإخباريون أن زعيم اليهود فى يثرب الذى يدعى «القيطون» كان من حقه أن يفترش المرأة قبل دخول زوجها عليها[3].

* * *

(١) المرجع السابق (بتصرف).

(٢) كان من الملوك الذين مارسوا هذا الحق الملك «مالكوم الثالث» ملك إيقوسيا، الذى أصدر قانوناً ينص على حقه وحق خلفائه بفض بكارة كل عروس قبل أن تُزف إلى زوجها إذا كانت من طبقة نبيلة... وقد ظل هذا القانون سارياً حتى ألغاه الملك «مالكوم الرابع» بتأثير من زوجته، واستبدل بهذا الحق مبلغاً يدفعه الزوج إلى الملك.

وفى روسيا كان للسادة الإقطاعيين حق فض بكارة عرائس أتباعهم، وظل هذا الحق قائماً خلال القرن التاسع عشر..

(٣) أخبار الزمان: المسعودى (بتصرف).

*** نوادى الفضائح[1] :**

فى القرن الثامن عشر انتشرت فى فرنسا نوادى وجمعيات الفضائح والفجور، فقد نظم محررو أبواب الثرثرة فى صحف باريس أنفسهم فى ناد سموه «لاباروواز» أى نادى الرعاية. .

وفى هذا النادى كان الأعضاء يجتمعون كل مساء ليتناقلوا ما حصلوا عليه من أخبار فاضحة، وحكايات ونوادر مسلية لاذعة. وبعد مناقشة عامة فيما بينهم، يتم تدوين أحسن القصص لنسخها وتوزيعها على كل الحانات فى المدينة؛ لكى تمد الناس بأخبار الفضائح وأبشعها.

وأُنشئت جمعيات الفجور المرحة، منها «جمعية البهجة» التى ابتكرت تقويمًا جديدًا فى شكل دليل للمحبين، إذْ نزعوا أسماء القديسين ووضعوا مكانها أسماء سيدات المدينة المعروفات بمغامراتهن الجريئة الفاضحة. وفكرة هذه الجمعية تستند إلى أن أى فتاة شقراء حسناء تسعد الخيال أكثر من صورة القديس بلحيته الطويلة؛ لهذا أعلنت الجمعية أنها قررت إحالة القديسين جميعًا إلى الفردوس؛ ليعيشوا معًا مع الأحد عشر ألف عذراء، لتضع مكانهم على أوراق النتيجة نوعاً من الجمال والفتنة. . . وأنها سوف تعطى النبلاء المكان الأول فى هذه النتيجة لكسب رضاهم وتأييدهم، كما أنها سوف تحجز مكان الشرف للدوقات والماركيزات اللاتى قمن بأدوار الريادة فى أمور اللذة الجسدية.

كما أُنشئت جمعية «اللهو» وهى تتكون من ثلاثمائة عضو من الطبقة الأولى، وستة آلاف عضو من الطبقة الثانية جميعهم من صغار الشباب.

---

(١) نوادى الفضائح: دراسة علمية تاريخية منشورة بمجلة الهلال عدد مايو ١٩٧٧ (بتصرف).

وقد امتدت شهرة هذه الجمعية إلى البلدان المجاورة ولا سيما إسبانيا، فانشغل الشباب هناك بأمور الملبس، وطريقة الكلام، وأصبحت لهم «لزمات» خاصة تميزهم... فقد كانت التعليمات الصادرة إلى أعضاء تلك الجمعية تحثهم على ذلك:

«انشروا الذوق فى الملبس وهذبوه حتى يصل إلى درجة الكمال... وأرسلوا الوفود إلى الأقاليم ليعلموا الناس الأساليب الجديدة فى اللباس والكلام، كما يعلمونهم المشية الصحيحة، وتسريحة الشعر المفضلة، وأن يبثوا في كلامهم وأعمالهم لمحات الغموض والشرود حتى يظهروا بمظهر الشذوذ الكامل».

بالإضافة إلى هذا، كانت توجد جمعية سرية أخرى، يلتقى أعضاؤها فى منشآت خاصة، هذه الجمعية هى «جمعية أفروديت» تحت رعاية «الماركيزدى بالماريه» الذى احتفظ بمركز إدارته الرئيسى بباريس حتى اندلعت الثورة فتشتت أفرادها: بعضهم سيق إلى المقصلة لقطع رءوسهم الماجنة، والبعض الآخر فر إلى أماكن أخرى ليمارس نشاطه فيها...

والجدير بالإشارة أن الانضام إلى عضوية هذه الجمعية لم يكن أمرًا ميسورًا[1] فضلاً عن تكاليفه الباهظة، إذْ كان على كل عضو جديد ينضم للجمعية أن يدفع رسم دخول يتناسب مع حالته المالية، ثم يدفع رسوم العضوية التى تبلغ عشرة آلاف فرنك للرجل، وخمسة آلاف فرنك للمرأة. أما المماطلون فى الدفع فكانوا يطاردون بلا هوادة، حتى إذا تطرق الأمر إلى

(١) يلاحظ أن عضوية الجمعية كانت محصورة فى أبناء الطبقة الأرستقراطية، وكان الرغبون فى الانضمام يتعرضون لاختبار حب عسير، يُفْحَصُون خلاله فحصًا دقيقًا لمدة ثلاث ساعات... وكان الفائزون يعطون «تيجانًا» فالذى لا يحصل على سبعة تيجان فى مدة ساعات الامتحان لا يتمتع بتقدير باقى الأعضاء باعتبار أن معلوماته وخبراته الغرامية لا تؤهله لذلك.

مسألة شطبهم من قوائم العضوية، كانوا يسارعون بدفع ديونهم فى الحال ويهملون ديونهم الأخرى، حتى لا يحرموا من المتع التى يوفرها لهم هذا النادى.

ويلاحظ أنه كان لجمعية «أفروديت» مقر ريفى خططت حدائقه بطريقة ملائمة تمامًا لقضاء أوقات المتعة. فقد كان الموقع محاطًا بالأسوار العالية من الخارج لتحجب عنه العيون.. أما فى الداخل فكانت مساحته مقسمة بطريقة هندسية بارعة إلى غابات صغيرة، وأجنحة، وزوايا تغطيها الأشجار إلى جانب السراديب والمتاهات. وهناك أيضًا بناء دائرى كبير تحيط به ممرات ترتفع على جوانبها مجموعة من المقاصير الخاصة معلق عليها ستائر من اللون الفضى؛ لتخفى أعمدة كالبواكي... ويتكون هذا البناء من قاعة مخصصة للاجتماعات، وعلى جوانبها جلسات الحب الخاصة.

... وكانت كل مقصورة مزودة بعدة فتحات اختيرت بمهارة لتتيح الرؤية. كما صُممت قطع الأثاث ـ ولا سيما المقاعد ـ لتهيئ الراحة أكثر من السرير، وقد أعدت إعدادًا خاصا لتلائم اللقاءات الغرامية.

* * *